الآلة المتمردة ...

للقصاص الأمريكي أمبروز بيرس

ترجمة توفيق صدقي

ـ هل انت متأكد ؟ هل تعتقد حقا ان باستطاعة الآلة ان تفكر ؟

لم أتلق اجابة فورية . ويظهر ان موكسون كان مشغولا بالتطلع الى قطع الفحم وهي تشتعل في الموقد ، وهو ينقلها بملقط صغير هنا وهناك ، حتى انطلقت باشارات متوهجة من الشرر ، كأنما هي تشير الى توهج احساسه. ومنذ اسابيع لاحظت انه قد نشأت لديه عادة اللامبالاة في اجابة الاخرين على اسئلتهم ، حتى ولو كانت هذه الاسئلة ـ بالنسبة اليه ـ من الخطورة بمكان . وقد ظهر في اخلاقه ما ينم عن ان لديه انشغالا فكريا ، لا يدعه يهتم بمن حوله . ويخيل للبعض ان عقله اصيب بمس من الشذوذ. وفجأة قال : « ما هي الآلة ؟ . لقد عرفت هذه الكلمة عدة تعاريف مختلفة. وان احد التعاريف المألوفة لدى الجميع هو : انها اي جهاز او منظم ، تطبق بواسطته القوة فتؤثر او ترغب في التأثير . حسنا . ثم اليس الانسان آلة ؟ . ستقول انه يفكر او يفكر انه يفكر . »

قلت بلهجة الممتحن : « اذا لم ترغب في الاجابة على سؤالي ، لماذا لم تقل ذلك منذ البدء ؟ ان كل ما تقوله يدل على التهرب . وانت تعلم جيدا انني حينما اقول « آلة » لا اعني بها الانسان . وانما هي مما يصنعه هذا الانسان ويدبره ».

واجاب ـ وهو يتطلع من خلال النافذة حيث لا يبدو شيء امامه، في ليلة عاصفة شديدة السواد ـ « ومتى لم تكن الاله هي التي تدبر شؤون الانسان ، بل وتديره هو » .

ومرت لحظات . ثم استدار ، وقد تعلقت على جانب ثغره ابتسامة صغيرة وقال : « عفوا . لا يوجد لدي فكرة عن التهرب من الاجابة . لقد اعتبرت التعريف القاموسي للانسان تعريفا ناقصا ، انه اقتراح . ويحتاج الى كثير من الشرح . واستطيع ان اجيبك اجابة مباشرة على سؤالك . اعتقد مؤكدا ان الآلة تفكر فيما تقوم به من العمل » .

حقا . ان هذا هو منتهى الصراحة والايجاز . ولم يكن هذا في حد ذاته مفرحا ، لانه يجعل موكسون يعيش في كآبة مطلقة من الشك والقلق، وهو يعكف بكليته على العمل والدراسة في مصنعه ، الشيء الذي يعتز به. وانا اعلم انه يعاني الارق . وهذه حالة محزنة . وقد سألت نفسي : هل تؤثر على عقله ؟ » وتصورت اجابته على سؤالي تؤكد ذلك . ربما كنت افكر تفكيرا مغايرا لتفكيره فقد كنت اصغر منه سنا ، وكنت في غمرة حماس الشباب وغروره ، وكنت مدفوعا بحافز المجادلة العنيدة .

وقد وجهت اليه قولي : « ارجوك ، وبماذا تفكر الآلة وهي بدون عقل ؟»

واتت الاجابة في وقت اقل بطئا مما عودني . وقال متخذا موقف المستفهم المتسائل المفضل لديه دائما : « بماذا تفكر النبتة في غياب العقل ؟ آه .. النبات ايضا ينتمي الى طبقة الفلاسفة . كم ارغب في معرفة بعض ما يستنتجه الناس ، وقد يمحو كثيرا من الحقائق . » ثم اردف متظاهرا انه غير مهتم بتهكمي :

« ربما تفكر ان باستطاعتك ان تصل الى عقول النبات ، بواسطة ما تقوم به من اعمال . وسأضرب لك المثل الشائع عن زهرة الميموسا الحساسة وهي اكثر الزهور حبا لدى الحشرات . تلك الزهور التي تلوي تويجاتها بحيث تنفض حبيبات اللقاح التأنيثية امام النحلة الداخلة لتزاوجها هذه مع حبيبات اللقاح التذكيرية البعيدة . ولكن لاحظ ما يلي : لقد غرست في بقعة من حديقتي نبتة كرمة متسلقة . وحينما كادت ان تصل في تسلقها الى السطح ، غرزت في التربه ، وعلى ياردة واحدة منها ، قضيبا من الحديد . فاحست به النبتة في الحال . وبينما كان من المقرر ان تصل الى السطح نهائيا خلال بضعة ايام ، ابعدت القضيب بضعة اقدام : وما كان من الكرمة الا ان غيرت اتجاهها في الحال ، مشكلة بذلك زاوية حادة مع سير اتجاهها الاول . وقد اعدت هذه العملية عدة مرات . واخيرا وجدت الكرمة تتجاهل كل ما اقوم به من المحاولات لتغيير اتجاهها ومنعها عن التسلق وتتجه الى شجرة بعيدة فتتسلقها » .

« ان جذور شجرة الكينا تتلاقح فيما بينها اثناء بحثها عن الرطوبة . وقد ذكر عالم نبات معروف ان شجرة دخلت احد مجاري المياه واتخذت وجهتها في الخط الذي يسير فيه . حتى انتهت الى حاجز حجري في المجرى فتركته الجذور والتصقت بالحائط حتى بلغت فتحة صغيرة من جراء سقوط احدى حجارة المجرى فزحفت في داخله متتبعة الجانب الاخر من حائط المجرى ودخلت الى الجزء غير المصقول وتابعت رحلتها . »

قلت : « وهل هذا كل ما في الامر ؟ » .

فاجاب : « وهل تستطيع نكران عظمة هذا العمل ؟ انه يدل دلالة قاطعة على وعي النبات»

قلت : « ولنفرض انه كذلك ، ثم ماذا ؟ لم نكن نتحدث عن النباتات ولكن عن الالات . ربما تكون بعض اجزائها من الخشب ، الخشب الذي ليس لديه من الحيوية والقدسية ما للمعادن .هل التفكير ينتمي ايضا الى مملكة المعادن ؟ »

قال : « ثم كيف تفسر ظاهرة التبلور ؟ »

اجبت : « لا افسرها ، ولا شأن لي بذلك »

قال : «السبب في ذلك هو انك لا تستطيع انكار ما هو ثابت عن التعاون الموفق بين عناصر المادة المتبلورة . فحينما يصطف الجنود في خط مستقيم ، او يشكلون مربعات فارغة تعتبر السبب في ذلك هو العقل. وحينما يطير سرب من الاوز الوحشي مشكلا الرقم « ٧ » تقول انها الفطرة وعندما تتحرك الذرات المعدنية المتماثلة ، عندما تتحرك بحرية تامة في المحلول ، منظمة نفسها في اشكال هندسية منوعة ، او عندما تتحول جزئيات البخار الى اشكال جميلة متشابهة مكونة بذلك اوراق الثلج المتساقطة ، فانك لا تستطيع تعليل ذلك . بل انك لا تستطيع ان تعطي لاعقلانيتك اية صفة . »

كان موكسون يتكلم بحرارة وشوق غير عاديين . وبينما هو في جلسته تلك ، سمعت في غرفة مجاورة ـ اعرف انها غرفة الالات وكما اعلم من المحظور على غير موكسون ان يلج اليها ـ صوتا كأنما هو ناتج عن ضربة يد مفتوحة على سطح منضدة .وكان موكسون قد سمعه معي في الوقت نفسه.

وفي مثل لمح البصر ولج الى حيث الصوت، واعتقدت انه من المستحيل ان يكون في الغرفة اي انسان اخر لثقتي التامة في حرص صديقي على ان لا يدخلها احد . ان شعوري بالغرابة لهذا الحدث قادني الى الاصغاء بانتباه ، رغم انني لم اجرؤ على التطلع من كوة المفتاح . كانت هناك اصوات مختلطة ، كانما هي صراع او منازعة ، وقد اخذت ارض الغرفة تهتز ، وسمعت بوضوح حشرجة وهمسا مزعجا يقول ((لعنة الله عليك)) ثم سكن كل شيء وفجأة رجع موكسون وقال وهو يبتسم باسف :

((ارجو المعذرة ، اذا فاجأتك بما لم تتوقعه . ان آلة في الغرفة المجاورة قد فقدت مزاجها وتمردت . ثم تحطمت .))

قلت وقد ركزت نظري على خده الايسر حيث كانت تتراقص اربعة شرايين متوازية تشف عن الدم وهو يسري خلالها ـ: ((كيف يكون باستطاعة هذه الآلة وحدها ان تنظم عملها)) ؟

كنت أستطيع ان اوفر على نفسي مثل هذا السؤال . ولكن موكسون لم يلتفت الي . وعاد فجلس على الكرسي نفسه الذي كان يجلس عليه قبل قليل . واستأنف الحوار المتقطع . كأنما لم يحدث شيء :

((وبالتأكيد فانت لا تتفق مع هؤلاء ـ ولست بحاجة الى تسميتهم وخاصة لرجل له ثقافتك ـ الذين تعلموا ان المادة حساسة . وان كل ذرة تعيش وتحيا وتشعر او انها من ذوات الضمائر ولكنني اؤمن بهذا كل الايمان . لا يوجد شيء في الكون ميتا . مادة جامدة .. ان كل شيء حي . كلها مزودبالقوة : المتحركة منها والساكنة ، وكلها حساس ، بالقوة التي هي في محيط احساسه ، ومتأثر بالاسباب العليا بالنسبة له والمتمثلة في المواد التي تتفوق عليها ، اذا قورنت معها بعلاقة ما . كالانسان الذي يكيفها الى آلة تخضع لارادته . وهي في نفس الوقت تسيطر على البعض من ذكائه وارادته . ومعظم هذه المواد متناسبة مع التعقيد للآلة الناتجة وعملها . هل سمعت بتعريف هربرت سبنسر للحياة ؟ لقد قرأته انا قبل ثلاثين عاما . واعلم انه ربما غيره في الايام الاخيرة لسبب ما . ولكن في ذلك الوقت لم اكن استطيع التفكير في تغيير كلمة واحدة منه ، او حذفها او اضافتها . وظهر لي ذلك التعريف ، انه ليس افضل تعريف فحسب بل هو التعريف الذي لا يمكن ان يوجدسواه)).

((الحياة ـ : قال هربرت سبنسر : هي اتحاد متوافق بين مختلف الاشياء المتغايرة منها والمتشابهة ، والمتناظرة وغير المتناظرة ، في وجودها الداخلي والخارجي)) .

قلت : ((ذلك هو ما يعطي الصورة الظاهرية للحياة . ولكنه لا يعطي اي لمحة عن السبب))

قال : ((ذلك هو ما يستطيع اي تعريف ان يحدده وكما اشار اليه ((جون ستيوارت مل)) نحن لا نعرف لاي سبب كان ذلك . وانما كان عرضا ، مجرد عرض . ليس من مؤثر سوى التناغم والتجاوب وبالنسبة لظاهرة معينة . لا يمكن حدوث شيء دون شيء اخر غير مشابه له: والاول بالنسبة للزمن يقال انه السبب . والثاني المؤثر فالشخص الذي اعتاد لعدة مرات ان يشاهد مطاردة كلب لارنب ، ولم يشاهد في حياته ارنبا يطارد كلبا ، يعتقد ان الارنب كان السبب في وجود الكلب)) . واضاف قائلا وهو يضحك ضحكة هادئة : ولكني اخشى ان يقودني ارنبي بعيدا عن كلبي المشروع لي . فانا احب الصيد من اجل الصيد . والذي اريد منك ان تلاحظه هو ان نشاط الآلة في تعريف سبنسر للحياة ضمني ولا يوجد في التعريف ما ينفي ذلك ، وبالنسبة لدقيقي الملاحظة والمتعمقين في الفكر ، اذا كان الرجل .. الانسان .. اثناء قيامه بعمله يعتبر حيا ، فالآلة كذلك وانا كمخترع للالات اعتقد ان هذا هو الحقيقة .))

كان موكسون صامتا لمدة طويلة ، يحملق في النار التي امامه ، وكان الوقت متأخرا . وفكرت ان وقت العودة قد حان . وعلى كل فانا لا اود ان اتركه في ذلك البيت المنعزل ،وحيدا ، وليس معه سوى بعض الناس من صنع يده . وليس من الوداد في شيء ان اتركه وهو على حالته تلك . فربما كان عملي هذا شيطانيا . وقد انخنيت عليه، ونظرت الى عينيه بشوق حاد وبينما كنت اضع يدي على مقبض الباب قلت : ((من عندك هناك يا موكسون ؟))

واشرت الى غرفة الالات ـ واخذتني الدهشة حينما ابتسم ابتسامة طبيعية جدا واجاب بغير تردد : ((لا احد ، ان الحادث الذي لا تزال تحفظه في دماغك ، كان متسببا غن غباوتي في تركي آلة تعمل على الفارغ بينما كنت انا منهمكا في القاء الضوء على عقلك ومحاولة افهامك ! الا تعلم ان الوعي يخلق النغم والصدى ، الايقاع ؟))

قلت : ـ وقد حملت معطفي ووضعته على كتفي : ((أه .. لقد ازعجتك! انا ذاهب . ليلتك سعيدة ، وآمل ان تكون الآلة التي اهملتها في العمل ستلبس في المرة القادمة قفازيها فلا تخطيء او تتمرد ، حتى لا تحتاج في المرة القادمة الى ايقافها بنفسك))

وبدون ان اتريث لارى اثر هذه القذيفة ، اندفعت خارج البيت .

كان الظلام كثيفا والمطر يتساقط بغزارة . وعند حافة السماء ، هناك خلف القمة التي كنت اتخذ طريقي اليها ، حذرا وعلى جانب الممر الضيق، عبر الظلام الدامس والشوارع غير المعبدة كنت ارى امامي بصعوبة اضواء المدينة الخافتة المتراقصة . ولم يكن واضحا خلفي سوى بصيص ضئيل ينفذ من خلال نافذة بيت موكسون ، كان يهتز بصورة خيل الي انها تحمل معنى الموت . وعلمت انها كانت نافذة عارية من ستارتها ، في مصنع صديقي موكسون . وكنت اشك فيما اذا كان لا يزال قابعا على كرسيه يتابع دراسته المتقطعة . اذ عليه ان يقوم بين الفينة والاخرى بواجب القاء الاوامر والارشادات على الآلة .وفجأة ، وفي غمرة من القلق عنيفةوكما وضح لي من ايمانه الراسخ بالالة في ذلك الوقت ، لم استطع ان اتخلص من شعوري الحاد بان تلك الالة لا بد وان تكون على علاقة وثيقة بمأساة مريعة في حياته واخلاقه . وربما بنهايته . ومع ذلك فلم استطع ان اتحمل فكرة ان هذه الالة تحمل له افكارا فظيعة ومميتة . ومهما كان التفكير في نظرته اليها فان تعلقه بها كان منطقيا واخاذا جدا. وقليلا قليلا تسللت الى ذاكرتي : ((الوعي هو ما يخلقه التناغم والتجاوب)) . وبقدر ما كانت عبارته جريئة وموجزة ، وجدتها ساحرة ومقنعة . وفي كل لحظة تتسع معنى وتزداد عمقا في الاقناع . لماذا ؟ هنا ـ فكرت ـ منطق تبنى عليه اسس فلسفة رائعة اذا كان الوعي مخلوقا للصدى والنغم ، فان كل شيء هو وعي قائم ، لان كل شيء يتحرك ، وكل حركة هي نغم وايقاع . وانني لفي شك مما اذا كان موكسون قد عرف عظمة فكرته وشمولها او انه قد توصل الى ايمانه الفلسفي هذا عن طريق الملاحظة العقلية المتشعبة !؟

ان هذا الايمان لجديد بالنسبة لي . فكل محاولات موكسون لاقناعي قد فشلت . ولكن بدت لي الآن كأنما هناك ضوء باهر سلط على عقلي ،مثل ذلك الضوء الذي بهر قديس طرطوس ، وفي ذلك البر الموحش ، وسط العاصفة المجنونة والظلام الكثيف الحاقد ، استعدت الى ذاكرتي ما دعاه لويس : ((بالشمول والسحر اللانهائي للفكر الفلسفي)) . عندها غصت في راحة عميقة من الشعور بالمعرفة والانفتاح على عالم جديد ساحر من العقل النوراني . واحسست ان قدمي تطآن الارض بصعوبة . كنت اشعر

كأنني ارتفعت عن هذه الارض على اجنحة غير مرئية . ووقعت تحت سيطرة امر خفي لاحظى بالنور الاكبر من الانسان الذي اعترف انه اصبح سيدي ومرشدي .. موكسون .. وانفتلت بقوة لا شعورية . ومن غير ان اعي بما اقوم به ، وجدت نفسي على باب بيت موكسون . كنت مبللا بالمطر ولا استطيع حمل ثيابي من شدة ما نفذ منها الى جسدي من البرد ومع هذا كنت اشعر بالارتياح . وكنت في حالة من الاضطراب لم استطع معها ان أهتدي الى جرس الباب . فعالجت قفل الباب بحدة حتى انفتح فدلفت بسرعة وارتقيت الدرج الى الطابق العلوي ، حيث الغرفة التي تركتها منذ قليل ....

كان كل شيء مظلما وساكنا . وكما خمنت ، كان موكسون في الغرفة المجاورة ، غرفة الالات . والتصقت بالحائط حتى وصلت الباب الذي يؤدي الى غرفة الالات . وقرعت الباب بشدة مرات عديدة فلم اتلق اية اجابة فعزوت ذلك لزئير الريح المتعالي في الخارج ولصخب المطر الذي كان ينهمر بعنف على جدران البيت الرقيقة .

لم يدعني موكسون في حياته ـ ولو مرة واحدة ـ لدخول غرفة الالات. ولن انكر ان هذا لم يكن بالنسبة لي وحدي وانما كان بالنسبة ايضا لجميع معارف موكسون واصدقائه باستثناء صانع له خبرة ممتازة في الالات . ولم يكن احد يعرف عنه شيئا سوى انه يدعي « هالي » وعادته الصمت المطلق . وفي غمرة الشعور الروحية التي كنت غارقا فيها ، نسيت كل شيء وفتحت الباب (المقدس) وكان ما رأيته قد انتزع مني كل تأملاتي الفلسفية والروحية .

كان موكسون يجلس قبالتي ، في الزاوية القصوى من الغرفة بجانب طاولة صغيرة تتراقص عليها شمعة واحدة خافتة الضوء ، هي كل ما كان في الغرفة . وكان يجلس في مواجهته شخص اخر مديرا ظهره لي . وبينهما على المنضدة لوحة شطرنج ، وهما منهمكان في اللعب . وكنت على معرفة ضئيلة بالشطرنج . وبما انني ابصرت قطعا قليلة من حجارة الشطرنج على اللوحة ، ادركت ان اللعبة تشرف على النهاية . اما موكسون فكان يبدو مغتبطا نوعا ما ، مما يدل على انه المنتصر في اللعبة . ومع اني كنت مواجها له تماما ، فانه لم يلحظني ، وذلك لانشغاله بالنظر الى خصمه الجالس امامه . وكان وجهه ابيض شاحبا ، وعيناه مشعتين كالماس. وكما ذكرت سابقا فانه لم يكن يتبين لي من الرجل الغريب سوى ظهره . وكان هذا الغريب على ما يبدو لا يزيد عن خمسة اقدام .. ويتفق في كثير من صفاته الجسمانية مع الفوريلا . كتفان عريضتان ورقبة غليظة غاية في القصر ، ورأس عريض مسطح مكسو بشعر كث اسود يعلوه طربوش قرمزي اللون . ومعطف من اللون نفسه مشدود على وسطه بحزام محكم الشد . ويجلس على كرسي هو ليس الا صندوقا خشبيا عتيقا . اما ساقاه وقدماه فلم تكن بادية لي . وذراعه اليسرى مردودة الى حضنه . بينما كان يحرك قطع الشطرنج بيده اليمنى التي كانت تبدو غير متناسبة مع بقية اعضائه لطولها .

تراجعت قليلا ، ووقفت الان على جانب الباب بحيث اكون في الظل ولن يستطيع موكسون ان يرى شيئا امامه الان اذا ما حاول ان يمد بصره ابعد من وجه خصمهولكنه سيدرك ان الباب مفتوح. وشعرت بشيء غامض يمنعني عن الاقدام او التراجع ـ شعور ـ ولا ادري كيف اعتراني ـ باني كنت حيال مأساة دموية . وربما استطيع مساعدة صديقي اذا انا بقيت في موقفي هذا . وبمزاج متوتر حيال هذا الموقف الجذاب الخطير ، بقيت حيث أنا .

كانت اللعبة تشرف علىالنهاية والقى موكسون نظرة مترفعة خاطفة على لوحة الشطرنج قبل ان يحرك قطعة واحدة . وبدالي انه يتناول قطعه بسرعة وعصبية . واما خصمه فكان يرد عليه بحركات عكسية بطيئة هادئة . كانت حركاتهما مسرحية . وكدت افقد صبري لهذه المشاهدة المؤلمة . كأن في ذلك المشهد قوة لا ارضية ، غير دنيوية ، وشعرت بنفسي ارتجف . اذ كنت مبلل الثياب والبرد يخز في ضلوعي . ولثلاث مرات بعد ان كان يحرك الغريب حجارته ، كان يميل برأسه للامام . وفي كل مرة كنت الاحظ موكسون يرفع « الملك » . واعتقدت في النهاية ان الرجل كان اخرس بل ربما آلة . لاعب شطرنج ميكانيكي . وتذكرت ان موكسون قال مرة انه اخترع رجلا آليا كهذا . ولم افهم حينذاك هل كان موكسون يمزح ام كان جادا ؟ هل كان حديثه عن وعي الالات وذكائها هو محض عمل قيادي الى مثل هذا النوع من الرجال الميكانيك ؟ اهي فقط حيلة ، ليزيد من قوة تأثير عمل الاله علي مع جهلي باسرارها ؟

انها نهاية جميلة لجميع رياضاتي العقلية لاسيما في « الشمول والسحر اللانهائي للفكر الفلسفي » كنت على وشك التراجع باستياء بالغ حينما وقع حادث شل دهشتي وتعجبي . ولاحظت هزات تصدر عن كتفي الشخص الغريب العظيمتين . كأنما كانتا تتأرجحان . كان كل شيء طبيعيا. وكان يبدو بشرا سويا . وقد اخذتني الدهشة حين القيت عليه اخر نظرة لم يكن هذا كل ما في الامر . فبعد لحظة ضرب المنضدة بقبضة يده المردودة في حضنه بشدة وبدت الدهشة على وجه موكسون فدفع كرسيه للخلف في ارتياح.وفي الحال، اذ كان اللعب لموكسون، رفع يده عاليا فوق لوحة الشطرنج وانقض على احدى قطعه كالصقر ، وبصيحة عالية « كش » ثم وقف بسرعة واستدار خلف كرسيه بينما كان الرجل الميكانيكي ساكنا لا يأتي بادنى حركة .

في هذه اللحظة هدأت الريح . ولكني كنت اسمع في فترات من الصمت هدير الرعد وفي اللحظات التي تلت ذلك ، شعرت بهمهمة الرعد تسري في جسدي . وكانت تشتد عما هي في الخارج . كان كل شيء في يرتعد وبدا لي كأن هذه الصاعقة تصدر عن جسم الرجل الآلي . كان صوتها يشبه هدير العجلات القادمة . وهنا تذكرت الآلة المتمردة التي تهربت من القيام

دار الآداب تقدم :

قضايا جديدة في أدبنا الحديث

بقلم الناقد المصري الكبير

الدكتور محمد مندور

دراسات نقدية معمقة عن الانتاج العربي الحديث وعن مشاكل النقد والادب

صدر حديثا

بعمل عهد به موكسون اليها . ولكن قبل ان اذهب بعيدا في ظنوني وتخميناتي لفت نظري حركات غريبة صدرت عن الرجل الميكانيكي .واعترته اهتزازات رتيبة متوترة . وكان رأسه وجسمه يهتزان كانما هو اصيب بالحمى الهستيرية . واستمرت هذه الاهتزازات والارتجافات المريعة في اللحظات التالية حتى اتخذت شكل هياج دموي . وفجأة وقف الرجل الآلي على قدميه بسرعة جنونية ، وبمثل لمح البصر قذف بنفسه من فوق المنضدة الى ناحية الكرسي الذي كان يقف خلفهموكسون . وقد حاول موكسون ان يقذف بنفسه الى الخلف تفاديا منه ، ولكنه كان قد فاته الوقت . ورأيت اليدين الحديديتين الطويلتين وهما تقبضان بعنف على خناق موكسون . وقد انقلبت المنضدة على الارض وانطفأت الشمعة الوحيدة التي كانت تضيء الغرفة فغاصا في الظلام في معركة عنيفة رهيبة . كان الصوت الخارج عن الصراع مخيفا ومفزعا واشد رعبا من صوت البراكين التي تقلب الجبال . وكانت يدا الرجل الآلي قد اخذتا بخناق موكسون حتى منعتا عليه التنفس . وعلى صوت العراك قفزت لنجدة صديقي ولكنه كان من الصعب ان يجدي هذا في مثل ذلك الظلام.

عندما كانت الغرفة تغرق في نور ابيض اعمى ينبعث من دماغي وقلبي وتفكيري ومن صورة جلية للصريع على الارض ، موكسون منطرحا على الارض ، بينما رقبته لا تزال في قبضة اليدين الحديديتين ، رأسه متدل للخلف، وعيناه محملقتان، وفمه مفتوح ولسانه خارج على ذقنه، كان هذا اخر ما اعيه . ثم غرق المكان في ظلام مطبق وصمت مطلق .

بعد ثلاثة ايام استطعت.ان استعيد وعيي في المستشفى . فان ذكرى المأساة في تلك الليلة قد نفذت الى تلافيف دماغي الباطنية . وتعرفت حينذاك على صديق موكسون المستر هالي . اقترب مني وهو يبتسم : قلت : « اخبرني عن كل ما حدث . كل شيء عنه »

قال : « بالتأكيد لقد حملت وانت في غيبوبة تامة من بيت كان يحترق. من بيت موكسون . لم يعلم احد كيف وصلت الى هناك . فعليك ان توضح لنا ذلك . انالنار تسببت عن شيء لا شك خطير . واعتقادي الوحيد هو ان الدار قد وقعت عليها صاعقة ».

قلت : « وموكسون ؟ » قال : « دفن بالامس . »

الظاهر ان هذا الرجل الغامض كان يستطيع ان يكشف غطاء نفسه في الوقت المناسب . كان لطيفا بحيث اجتذب قلوب المرضى الذين كانوا يشاركونني الغرفة . ومع أني كنت ممنوعا عن الحديث وفي موجة من الالم الحاد خاطرت بسؤاله :

« من الذي خلصني ؟ »

قال : « اذا كان هذا مما يسرك ، انا الذي فعل ذلك »

قلت : « اشكرك يا مستر هالي . وجزاك الله عني خيرا . هل خلصت ذلك الساحر العجيب الذي هو من صنعكم ، اعني الرجل الآلي : لاعب الشطرنج الذي قتل « ربه » ؟

فاطرق الرجل مدة وهو ينظر في شرود الى الناحية الاخرى وفجأة التفتت وقال بحزن : « هل عرفت ذلك ؟ »

قلت : « اجل. رأيت ذلك عندما حدث ».

حدث هذا قبل سنوات عدة ، واذا ما سئلت اليوم عن هذه الحادثة فان اجابتي ستكون : « لست على ثقة » .

ترجمة توفيق صرداوي

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢

*

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

*

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان
او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات
في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

*

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

*

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣